

يذهب قوم الى أن البشر قد يستغنون عن الدين في انتظام شملهم، وقوام مدنيهم، وان الانسان يمكن ان يصل بعقله الى كل ما فيه سعادته من غير وحي الهي، ولا ارشاد سماوي، اكنفاء بالعقل والمشاعر والوجدان والالهام، التي وهبها مدبر الكون لكل انسان، وأعظم شبهة عند هؤلاء على انكار الوحي زعمهم انه لا حاجة اليه فاذا قام البرهان ونهضت الحاجة على حاجة البشر الى الوحي وانه كمال لا يتم نظام العالم الانساني بدونها، يدعون الى أن صنم الكون الحكيم لا يدخل عليهم في ايتانهم ما هو مكمل لوجودهم النوعي وتمام لسعادتهم الانسانية

ولما كان المنار يدعو الى المدنية مع التمسك بالدين أحيينا ان نخوف قراءه من مسلمين ونصارى ويهود بما جاء في «رسالة التوحيد» من بيان الحاجة الى الوحي ووقوعه فهو البيان الكامل، والتحقيق الذي لم تأت بمثله الاوائل، وناهيك بحكمة مؤلف تلك الرسالة ورسوخه في العلوم الدينية، مع وقوفه التام على حقيقة المدنية، قال حفظه الله تعالى

حاجة البشر إلى الرسالة

سبق لك في الفصل السابق ما يهيم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده في الرسل، والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله الى بيان الحاجة اليهم، وهو مترك الافهام، وعزلة الاقدام، ومزدحم الكثير من الافكار والاهام، ولست اباصد الا تيان بما قال الاولون، ولا عرض ما ذهب اليه الآخرون، ولكننا نلزم ما التزمناه في هذه الوريقات من بيان المعتقد، والذهاب اليه من أقرب الطرق، ومن غير نظر الى مآمال

اليه المخالف، أو استقام عليه الموافق، اللهم الا إشارة من طرف خفي، أو الماعا
لا يستغني عنه القول الجلي

وللكلام في بيان الحاجة الى الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق
الإشارة اليه يتنديء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان
له حياة أخرى، بعد الحياة الدنيا، تتمتع فيها بتعيم، أو تشقى فيها بعذاب أليم،
وان السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية، موقوفان بأعمال المرء في حياته
القانية، سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاقتادات والمقاصد والارادات،
أو بدنية كأنواع المبادات والمعاملات

اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليون وفلاسفة الا قليلاً لا يقام
لحم وزن على ان لنفس الانسان بقاء يحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت
موت فناء، وإنما الموت المحترم هو ضرب من البطون والخفاء، وان اختلفت
منازعتهم في تصوير ذلك البقاء، وفيما تكون عليه النفس فيه، وتباينت مشاربهم
في طرق الاستدلال عليه، فمن قائل بالتناسخ في اجساد البشر أو الحيوان
على الدوام، ومن ذاهب الى التناسخ ينتهي عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب
الكمال، ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى مجرد دها عن المادة
حافظتها فيه لتتها أو ما به شقوتها، ومنهم من رأى انها تتعلق باجسام اثيرية،
الطف من هذه الاجسام المرئية، وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة
والشقاء الأخرى، وفيها هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التي تعدل لتعيم
أو تيمد عن النكال الدائم. وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما
لا تكاد تحصى وجوهه

هذا الشمور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها

وجاهلها، وحشيتها ومستأنسها، باديها وحاضرها، قديمها وحديثها، لا يمكن ان
يبدؤة عقلية، أو نزعة وهمية، وانما هو من الإلهامات التي أخص بها هذا النوع
فكما ألهم الانسان أن عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا - وان
شد أفراد منه ذهبوا الى أن العقل والفكر ليسا بكافيين للإرشاد في عمل ما
أو الى أنه لا يمكن للعقل أن يوقف باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول
بل قالوا ان لا وجود للعالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتى في أنهم
شاكون ولم يطمئن شذوذ هؤلاء في صحة الإلهام العام المشعر لسائر أفراد
النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة وأساس البقاء الى الاجل المحدود -
كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس
هو منتهى ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع
الكب عن البدن ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وان لم يدرك كنهه، ذلك
الإلهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول
معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة، شقيقة الى لذات غير محدودة
ولا واقفة عند غاية، مهياة لدرجات من الكمال لا تحددها اطراف المراتب
والغايات، معرضة لآلام من الشهوات ونزعات الهواه ونزوات الامراض
على الاجساد ومصارعة الهواه والحاجات، وضروب من مثل ذلك
لا تدخل تحت عد، ولا تنتهي عند حد، إلهامٌ يستلقتها بعد هذا الشعور
الى ان واهب الوجود للاواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء
ولم يمهّد في تصرفه العيب والكيل الجزاف، فما كان استعداده لقبول ما لا
يتناهى من معلومات، وآلام ولذات ذكوات، لا يصح ان يكون بقاءه مقصراً
على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدى وما عسى أن تكون عليه، متى وصبت اليه، وكيف الاهتداء وأين السبيل، وقد غاب المطرب وأعوز الدليل، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامد لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار، في تقويم الانظار وتمديد الافكار، واصلاح الوجدان، وتثقيف الازهان، ولا نزال الى الآن من هذه الحياة الدنيا في اضطراب لا ندرى متى نخلص منه، وفي شوق الى طلائفة لا نعلم متى تنتهي اليها

هذا شأننا في فهم عالم الشهادة فإذا توكل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب، هل فيما بين أيدينا من الشاهد، معالم تهدي بها الى الغائب؟ وهل في طرق الفكر ما يوصل كل أحد الى معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها، وبأن لا مندوحة عن القوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما أعد له فيها، والشؤون التي لا بد أن يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه، أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون؟ هل في أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاضمادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك، وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي الشاعر ولا اشتراك بينهما الا فيك انت فالنظر في المعلومات الحاضرة، لا يوصل الى اليقين بمحطات تلك العوالم المستقبلية

أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الانسان على قاعدة الإرشاد والتعليم، الذي خلق الانسان، وعلمه البيان، علمه

الكلام للنعام ، والكتاب للتراسل ، أن يجعل من مراتب الاتساق البشرية مرتبة يمدُّ لها بعض فضل بعض من يصطفيه من خلقه وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطر السليمة ، ويباغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بنور علمه، والامانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالاته وعظمته، فيسرفون على النبي باذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين ، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم من الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها ، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها، ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلالة وما خفي على العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يمتدده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية ، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه ، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن تناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكنج شروعاتهم، وتعلمهم من الاعمال ما هو مناط سعادتهم وشقايتهم، في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في اجاله ، ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ، ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحاجة، ويتم الاقتناع بصدق الرسالة ، فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين

لا رب ان الذي أحسن كل شيء خلقه، وأبدع في كل كائن صنعه، وجاد على كل حي بما اليه حاجته، ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلاً من

خلقته ، يكون من رافته بالنوع الذي أجاد صنعه ، وأقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ، أن ينقذه من حيرته ، ويخلصه من التخبط في أم حياته ، والضلال في أفضل حاله ،

يقول قائل ولم لم يودع في الفرائض ما يحتاج اليه من العلم ؟ ولم يضع فيها الاتقياء الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية في الحياة الآخرة ؟ وما هذا النحر من عجائب الرحمة في الهداية والتبليغ ؟ وهو يقول يصدر عن سطط العقل ، والفطنة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني . ذلك النوع على ما به وما دخل في تكوين جوهره من الروح المفكر ، وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف أفراده ، وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه ، وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال ، فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل أو ملكاً من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثاني) في بيان الحاجة الى الرسالة يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه ، أرتنا الايام غابرها وحاضرها ان من الناس من يتخزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الى بضع الغابات أو الى رهوس الجبال ، ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان ، يتغذى بالاعشاب وجذور النبات ، ويأوي الى الكهوف والمغاور ، ويتقي بهض الوادي عليه بالصخور والاشجار ، ويكتفي من الثياب بما يخرق من ورق الشجر ، أو جلود الممالك من حيوان البر ، ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا . ولكن مثل هذا مثل النحلة تفرد عن البروتيمش عيشة لا تنفق مع ما قدر لتوحيها . وانما الانسان نوع من

تلك الأنواع التي غرز في طبيعتها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات على ان يكون لكل واحد من الجماعة عمل. ورد على المجموع في بقائه وللجموع من العمل ما لاغنى للواحد عنه في نمائه وبقائه، وأودع في كل شخص من أشخاصها شهور ما يحتاجه الى سائر أفراد الجماعة التي يشتملها اسم واحد، وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الى الاطالة في بيانه وكفاك من الدليل على ان الانسان لا يعيش الا في جملة ما وهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعدا لتصوير المعاني في الالتقاط وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار انى تفاهم بين اثنين أو أكثر الا الشهادة بأن لاغنى لاحد عن الآخر

حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشتة ازدادت به الحاجة الى الايدي العاملة فتمتد الحاجة وعلى أثرها الصلة من الاهل والمشيخة ثم الى الامة والى النوع بأسره وأيامنا هذه شاهدة على ان الصلة التابعة للحاجة قد تم النوع كما لا يخفى. هذه الحاجة خصوصا في الامة التي حققت عنوانها لها صلات وعلاقات ميزتها عن سواها حاجه في البقاء، حاجة في التمتع بمزايا الحياة، حاجة في جلب الرغائب ورفع المكروه من كل نوع

لو جرى أمر الانسان على أساليب الخلق في غيرها لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفرادها، عامل يشعر كل نفس أن بقاءها مرتبط ببقاء الكل فالكل منها بمنزلة بعض قواها المستخرجة لتنافها ودرء مضارها، والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب، هي الدافع

لكل من التجارين على العمل لمصلحة الآخر، التناهي بكل منهما للندافنة عنه في حالة الخطر، فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظاً لنظام الامم وروحاً لبقائهما وكان من حالهما أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الى من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولماً وعشقاً

لكن كان من قوانين المحبة أن تنشأ وتندوم بين متحابين اذا كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ما هو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها في الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً في روح المحبوب وشماله التي لا تفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول في نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعارض ولو حظ في العلاقة بينهما تحوات المحبة الى رغبة في الانتفاع بالعرض وتلقت بالمتنعم به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة إما سلطان القوة أو ذلة الخافة أو الدهان والخديعة من الجانبين

(ستأتي البقية)

اخبار الامانة

(جلاء جنود الدولة عن تساليا)

كان جلاء الجنود السلطانية المظفرة عن تساليا بنهاية الادب والانتظام الذي لم يسد له نظير من أعظم جنود الامم المتمدنة وقد جرت مبادلة الوداع بين القائد العظيم صاحب الدولة آدم باشا وأركان حربه وبين قناصل الدول ووجهاء الاهالي وقد أوجب الاهالي بحسن معاملة الجيش الفاتح الظافر وودّعوا الضباط بكل احترام وقدموا الهدايا بشكراً على